الأندلسيون لا الموريسكيون

عبد العزيز بنعبد الله

بحثنا هذا ينصب خاصة على من هاجر من الأندلسيين إلى عُدْوَتَي أبي رقراق (الرباط وسلا). فالأندلسيون هم الذين هاجروا قبل سقوط غرناطة والموريسكيون هم الأندلسيون الذين نُصِّروا وهجروا قسرا إلى المغرب في القرن السادس عشر الميلادي وهي تسمية أطلقها عليهم الإسبان خلال هذا القرن الموافق في معظمه للقرن العاشر الهجري وجزء من الحادي عشر (1500-1600م /906هـ/1009). وقد هاجر الأندلسيون في فترات شتى إلى فاس ومراكش والريف. فالهجرة الأولى كانت من قرطبة آخر القرن الثاني الهجري وقد تحدث عنها المقّري (النفح ج1 ص 318)[1] «وكانت له أي الحَكَم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل» الواقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة لأنه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالرَبَض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره فقاتلهم الحكَمُ فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة وبالأسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف إليهم عبد اللّه بن طاهر صاحب مصر للمامون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم إلى جزيرة قريطِش فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدة، وقد أسس عمر البلوطي

أسرة مَلَكَت إلى عام (350 هـ/ 961م) وهو العهد الذي امتلك فيه الإغريق الجزيرة وقد استقرت حسب دوزيDozy ثمانية آلاف عائلة ربضية بفاس حيث سبقتها جالية قيروانية، وكان العرب عمالا وتجارا والأندلسيون مزارعين (البيان المغرب لابن عذارى ج 2 ص 79 في قسمه المترجم / دوزي: « تاريخ مسلمي إسبانيا » ج1 ص 301) .

وقد نزل أندلسيون في الريف أوائل القرن الثاني عشر حيث قام جماعة من البحريين بقيادة محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون ببناء قرية في بني قميل بين مشيوة وبني بوفراح عام (209هـ/ 824م) (المغرب للبكري ص.70) أما في مراكش فقد كانت المهاجَر الرئيسي من قرطبة وأشبيلية أيام الموحدين، وبمقارنة مجموع من هاجر نلاحظ تساكن فئات مختلفة من آل جَيّان وطُلَيْطلة وبَلَنْسية ومالَقَة وشَنْتَرين وسَرَقُسْطَة وشنترة وشَقورة وقربليان ويكة وأخيرا غرناطة. ومعلوم أن عدد مدن الأندلس (386) منها ست كبرى هي قرطبة وأشبيلة وغرناطة. وبلنسية وطليطلة وسرقسطة وأربعون حاضرة يندرج فيها باقي المدن. وكان أهل المشرق قد استوطنوا بعضها كالشاميين في ألْبيرة والأوربيين في مالقة والفلسطينيّين في شذونة وأهل حِمْص في أشبيلية والمصريين في بيجة ومُرْسية (الحُلل السندسية شكيب أرسلان ج1 ص 40) وكانت قد قسمت في عهد الموحدين إلى عدة ولايات أو عمالات هي ولاية الغرب (شَلب وأحوازها) وبيجة ويابرة وبَطَلْيوس ومارِدة وأحوازهما ولم يكن عدد سكانها يقل عن خمسة عشر مليون نسمة في عهد الناصر، وصفهم (المقّري في النفح ج 1 ص 105) بأنهم «أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون إلى البخل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فِطن لها حاتِم لفضل دقائقها على عظائمه»، ووصف نظافتهم فقال :

«أهل الأندلس أشـــد خلق اللّه [2] اعتناء بنظافة مايلبسون وما يفرشون... وفيهم من لايكون عنده إلا مايقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولايظهر فيه ساعة يومه فيطويه ولا يظهر على حالة تنبو العين عنها». وقد تزايد عدد المهاجرين بعد عهد الموحدين حيث بدأت بعض الحواضر تتساقط في قبضة الإسبان. فبعد وقعة طريف عام (741) هـ[3] استولى الإفرنج على الجزيرة الخضراء فأجاز أهلها إلى المغرب عام (743هـ) وأنزلهم أبو الحسن المريني ببلاده على خير نزل (الاستقصا ج 2 ص67) وربما كانوا يهاجرون عند اشتداد الأزمات عندما كانوا يتعرضون لهجمات الأسبان والبرتغاليين كما وقع قبل احتلال شاطبة عام (645هـ/1247م) (النفح ج6 ص 215) من حيث هاجر العلامة (عبد اللّه بن علي بن أحمد اللخمي الشاطبي إلى «أغْمات» فتولى قضاءها عام (532هـ) وتوفي بعد ذلك بسنة (تكملة ابن الأبّار ج 3 ص466. طبعة مَجْريط 1887). وكان آخر معقل وقع في يد الأسبان قبل غرناطة هو أشبيلية في نفس السنة وهو ءاخر عهد الموحدين حيث بويع عبد الواحد الملقب بالرشيد عام (630 هـ/1232م) فحوصرت سَبَتة في عهده ودفع للإفراج عنها غرامة قدرها(000 40) دوكة وهو الذي انتزع مدينة فاس من بني مرين وقد انضم إليه الإشبيليون وأهل سبتة عام (635 هـ) وتوفي غريقا عام (640هـ). وكان قد أصدر الظهير لإيواء الأندلسيين ومنحهم حق اللجوء خاصة في عُدْوَتَي أبي رقراق حيث كان نائبه في ولاية المنطقة هو الأمير عمر المرتضى فانهزم عام (662 هـ). وبانهزامه قامت دولة بني مرين وكانت قَشْتَالَة قد استولت على أشبيلية قبل ذلك بثلاث سنوات (645 هـ) فانتقل الحكم الإسلامي إلى غرناطة التي بدأت أول وقعاتها ضد الأسبان عام (719هـ/1319م) بإمرة فدائيين من المغرب على

رأسهم شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء الذي كان يشرف على مائتين من المجاهدين صرع معظمهم ففاوض أبو عبد اللّه العنابي نزيل درعة أبا زكرياء الوطاسي في فدائهم مزودا من نساء القصر السلطاني بالحلي ولكنه غرق في البحر (دوحة الناشر ص 69) واستولى الأسبان على غرناطة عام (897 هـ/ 1481م) فاستأمن أهل غرناطة شرطاً لبقائهم على أموالهم وشريعتهم ومساجدهم، فغدرالأسبان بهم وبمَلِكِهم أبي الحسن. ولعل أشتاتا أخرى من الأندلسيين ظلوا متمسكين في مساقط رؤوسهم بحواضر أخرى وخاصة في ملاجئهم بالجبل كأهل بللنقة وهو جبل بالأندلس صمد أهله عام (904هـ/1498) عندما حمل الإسبان المسلمين علي التنصر فثارالبللنقيون وقتلوا صاحب قرطبة وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خفّ من أموالهم دون الذخائر (الاستقصا ج 2 ص 154) ونحن نتساءل عن وضع مدينة رباط الفتح قبل هجرة الأندلسيين إليها طوال أربعة قرون، ففي عهد المولى الرشيد الموحدي كان قد مر على تأسيس الرباط نحو أربعين سنة ما لبث أن انقرض بعدها بخمس سنوات عهد الموحدين فأعقبهم بنو مَرِين ثم السعديون حيث بدأت الهجرة في عهد المولى زيدان بن احمد المنصورالذهبي. ففي هذه الفترة الطويلة طرأت أحداث وبرزت مظاهرحضارية واجتماعية وفكرية جديدة في رباط الفتح، وخلال جزء كبير من هذه الفترة كانت غرناطة قد خلفت اشبيلية فهاجر الكثير من أهلها إلى العاصمة الجديدة تحت حكم بني نصر وآخرهم هو أبوعبد اللّه الصغيرمحمد المعروف في المصادر الأجنبية ب «بوعبديل» الذي أبرمت بينه وبين الملكين الكاثوليكيين الدُّون فِرْدِينَاند والدّونَة إيزابيلا بتاريخ (21محرم 897هـ/25 نوفمبر1491م) معاهدة لتسليم غرناطة[4] وقد أصبح أهل غرناطة المسلمون

بمقتضى هذه المعاهدة "رعايا طبيعيين" للملك الكاثولكي مع حفاظهم على بيوتهم وأراضيهم وأموالهم وممارسة الشعائرالإسلامية بحرية دون المساس بسكانهم وجوامعهم وأبراجهم ومحاكمتهم بموجب قوانينهم وقضاتهم واحترام عاداتهم وتقاليدهم وعدم مصادرة أسلحتهم أوخيولهم باستثناء الذخيرة الحربية ويسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاء ومع إعطاء الأولوية في ذلك للملك الكاثوليكي الذي يجهز لعبورهم (أرض المغرب) عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم مع بيع أو تفويض لمن ينوب عنهم في تحصيل حقوقهم ولايسمح لأي نصراني بدخول المساجد دون إذن من الفقهاء الذين يتولون إدارة إيراد الجوامع والحلقات الدراسية فيها. ويعتبر جميع أسرى النصارى أو المسلمين أحراراً، ولا يدفع المسلمون إتاوات أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم ويسمح لمن غادر الأندلس منهم بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ إبرام المعاهدة للتمتع بالإمتيازات التي يمنحها الإسبان لهم ويحق لتجارغرناطة والبيازين والبشرّات والأرباض أن يحملوا سلعهم إلى العُدْوَة ولا يجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد المسلمين واعتنقت الدين الإسلامي على العودة إلى النصرانية إلا طائعة وكذلك كل نصراني اعتنق الإسلام قبل إبرام الاتفاقية. ولا يجوز إرغام مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية.

وبعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية تدفع ضريبة الأملاك والضياع الأميرية وفقا لقيمتها الحقيقية . وتشمل هذه الاتفاقية أيضا اليهود من مواليد مدينة غرناطة والبيازين الخ ... ويسمح لهم بالعبور إلى العدوة خلال شهر من تاريخه ولا يُولّى على جماعة أبي عبد

الله الصغير أحد ممن كانوا موالين لمولاي الزّغل ملك وادي آش عمِّ أبي عبد اللّه الذين كانت بينهما عداوة قديمة، ويتولي النظر في الخصومات بين مسلم ونصراني مجلس مؤلف من حَكَمين أحدهما مسلم والآخر نصراني ويفرج عن جميع أسرى غرناطة والبيازين وأرباضهما وضياعهما الموجودين في الأندلس خلال الأشهر الخمسة التي تعقب إبرام المعاهدة، ويتعهد الملك الإسباني لجميع السفن الآتية من العدوة (المغرب) أن ترسو في موانئ مملكة غرناطة مع حرية التنقل والأمن.

وقد أبرمت في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة تسليم غرناطة معاهدة سرية كملحق للأولى تضمنت الحقوق والواجبات والالتزامات والامتيازات التي أعطيت لأبي عبد الله الصغير وأفراد أسرته وحاشيته وقد مثل الملك في التوقيع القائد أبو القاسم المليح وذلك بعد أن يتم تسليم الحمراء والحصون والقلاع مقابل تمتع أبي عبد اللّه وورثته بحق الملكية في أماكن أحد عشر وقع التنصيص عليها ودفع هبة إلى الملك المسلم قدرها 30.000 جنيه قشتالي من الذهب تعادل (550.000) مرابطي بعد تسليم الحمراء وبقية القلاع وعند رغبة الملك أبي عبد اللّه والملكات وزوجة مولاي أبي الحسن علي والدة الملك العبور إلى العدوة فسوف تجهز لهم سفينتان كبيرتان من مدينة جِنْوَة للجواز متى يشاءون وبحوزتهم كل أموالهم مع تأمين وصولهم لأي مكان معروف سواء بالمغرب أو الأسكندرية أو تونس أو وهْران، وقد ذيل الاتفاق بتوقيع الملِكَين الذين أديا القسم بدينهم وأعراضهم أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد.

حملة التنصير والتهجير

وتولى إدارة غرناطة نيابة عن الملكين مجلس كان على اتصال سري بالبابا الإسكندر السادس الذي كان كردينالاً وأُسْقفا لبلنسية . وقد اعتبر المجلس شروط المعاهدة باطلة ففرض علي المسلمين أحد أمرين وهما التنصير القسري أو التهجير القسري حيث صدر أمر منذ ثاني يناير 1492 بإحراق مليون وخمسمائة ألف كتاب ديني بما فيها من الوثائق والمخطوطات لإبعاد المسلمين عن مصادر عقيدتهم (Francisco Piferrer, Nobiliario de los reinos y senarios de Espana T. VI, Madrid ,1860, p.138)

وقد استعمل الاسبان لضمان التنصير أخذ الأطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5 و 12 سنة لتربيتهم في المعاهد المسيحية وإعادتهم إلى أهلهم كجواسيس عليهم وكانت الملكة إيزابيلا أشدّ تعصبا في ذلك من زوجها فرديناند، وفي أول سنة 1.500 تقرر إرسال الرهبان إلى مملكة غرناطة للتبشير بالكاثوليكية ريثما يتم التنصيرالقسري بالعنف والتشريد حيث تم تأسيس 120 كنيسة لهذه الغاية في بلنسية عام 1535م، وتكتل كل رجال الكنيسة ضد المسلمين عدا الأب إيرناندودي تالافيرا مطران غرناطة الذي درس العربية وأظهر رفقا وتسامحا (Villa Real y Valdivio في كتابه دروس أولية لتاريخ نقدي لاسبانيا طبعة غرناطة 1899 ص 382). وقد حُرِم المدجنون (وهم المسلمون الذين ظلوا على دينهم بين الاسبان قبل سقوط غرناطة وألحقوا بمصير الموريسكيين المقيمين في غرناطة) من اقتناء الأراضي لتوطين الاسبان في أماكنهم ومزجهم بالنصارى حتى يفقدوا كل صلة بدينهم ولغتهم (Perez Bustamente c: في كتابه «جماع تاريخ اسبانيا»، طبعة

مدريد 1946 ص 359) وأدى بهم ذلك إلى تهديم كل الحمامات العمومية لمنع المسلمين من الغسل في مجموع أنحاء غرناطة وفرض عليهم ضرائب جديدة ضمن مختلف التعسفات التي أدت إلى ثورة المسلمين مرارا عديدة بل عزل المسلمون عام 1498 عن بقية المجتمع الإسباني تمهيدا للتنكيل بهم فأزهقت أرواح الأبرياء (تاريخ مارمولْ حول ثورة المورسكيين في مملكة غرناطة الطبعة الثانية م .1 مدريد 1797 ص 112) وثم حرق آلاف الأشخاص علي يد محاكم التفتيش التي سبق تأسيسها منذ القرن الثالث عشر الميلادي من طرف الكنيسة الكاثوليكية لتحمي نفسها من الديانات الأخرى وقد تعززت في اشبيلية عام 1480 ثم قشتالة وأراغون عام 1482 ثم امتدت عام (1516 إلى قَطلونْية وبلنسية وحتى أمريكا إلى أن اختفت في القرن التاسع عشر (Orti y Lara Juan Manuel في كتابه «محاكم التفتيش مدريد 1877». وقد تأججت نيران الثورة الإسلامية في البشرّات عام 1501 وفي عام 1499 (البيازين) فاضطر المسيحيون المورسكيين والمسلمين من أصل اسباني المعروفين ب Elches[5] الذين كانوا في طليعة من أخذتهم الكنيسة لتربيتهم وإجبارهم على العودة إلى النصرانية) فشكل الثوار مجلسا من أربعين[6] عضوا ليمثلوا حكومة موريسكية مستقلة منفصلة عن الإسبان[7] وبعد تهدئة سطحية للثوار قرر الملكان الكاثوليكيان تعميد المسلمين قسرا ضمن «محاكم التفتيش» فلجأ الموريسكيون إلى رؤوس الجبال يتحصنون بها ويشنون من معاقلها غارات على الأسبان فكان رد فعل الملكين إصدار أمر عام 1501م يحرّم علي الموريسكيين ممارسة كل ماله صلة بعقيدتهم ولغتهم فتزايد الاعتصام بمراكز المقاومة في الجبال ولعل هذا التدبيرالجديد هو الذي كان أحد أسباب ثورة منطقة البشّرات جنوبي غرناطة

في نفس السنة وكذلك في «قرية سيرَّادي فِيلاَ بريس» بالْمرَية فقام الاسبان بتقتيل النساء والأطفال والشيوخ في قرية «غويخار سيرا» التي التحق رجالها بالمجاهدين الذين عز عليهم تحويل مساجدهم إلى كنائس فحرقوا إحداها في «موندیخار» وهي قرية عمل أهلها على إجبار الملكين على الوفاء بشروط معاهدة غرناطة خاصة بعد استيلاء الموريسكيين على عدة قرى، ولكن قوات الأسبان تمكنت من إخماد الثورة عام 1502 فتضاعف الاضطهاد[8] ونكث الإسبان معاهدة بَسْطَة التي سمحت عام 1501 للمسلمين بالاطلاع على جوانب من الثقافة العربية واستعمال ثيابهم وحماماتهم فحظروا عليهم صراحة تطبيق الشريعة الإسلامية واقتناء الكتب الدينية لاسيما منها المصحف الشريف. ولم يتمالك الإسبان أنفسهم أمام هذه الثورات العارمة إلا أن جعلوا الموريسكيين أمام أحد خيارين: التنصير القسري أو التهجير خارج إسبانيا وتم بالفعل تمسيح أكثر من 50.000 مسلم في غرناطة وضواحيها علاوة على تحويل مسجد العاصمة إلى كنيسة كبرى وكذلك مسجد البيازين وإجبار المسلمين على نبذ ملابسهم العربية ولبس القُبّعات وترك لغتهم وتقاليدهم وأسمائهم العربية وتعويضها بالإسبانية مما يفسر ما اضطر الموريسكيون إلى حمله من ألقاب أجنبية في مُهاجَراتهم بأرض المغرب[9] وهنا وجه الموريسكسون نداءات حارة إلى إخوانهم خارج العدوة فاستخدموا ملوك المغرب حيث كان قد صدر منذ عام 637 هـ ظهير شريف للخليفة الرشيد منح حق الاستيطان وخاصة الرباط لأهل شرق الأندلس[10] كما استغاثوا بالخليفة العثماني بايزيد الثاني (1481-1512) الذي اكتفى نظرا لمشاكله الداخلية بتوجيه كتاب إلى الملكين الكاثوليوكيين فلم يعيراه كبيراهتمام واستنجدالموريسكيون كذلك بالملك الأشرف قانصوه

الغوري (1501-1516) سلطان المماليك بمصر والشام الذي هدد بإجبار نصارى بلاده على الدخول قسرا في الإسلام وذلك عن طريق وفد رسمي وجهه إلى اسبانيا ولكن الإسبان واصلوا اعتداءاتهم الصارخة المنافية لشروط الاستسلام. وإزاء تقاعس العالم الإسلامي عن نجدتهم اضطر الكثير منهم إلى قبول الأمر الواقع متظاهرين بالدخول في المسيحية بينما هاجر آخرون إلى نواحٍ مختلفة منها جنوب فرنسا الذي نجد فيه منطقة تحمل اسم الموريسك بل غامرالبعض فرافق (كريسْطُوفُ كُولمب) في رحلته الاستكشافية إلى أمريكا. وهكذا ظل معظم الموريسكيين منتشرين في أنحاء غرناطة والمرِّية ووادي آش وبَسْطة متظاهرين بالمسيحية مع مواصلة التمسك سرا بالشعائر الاسلامية تقية وخوفا من بطش محاكم التفتيش. وامتد السطو إلى المدجنين في بَلَنْسِية وأرَغُونْ، غير أن الإسبان شعروا بمهزلة هذا التنصيرالقسري فنهجوا أسلوبا جديدا هوالتهجير الإجباري الذي مسَّ حتى مسلمي قرطبة وقشتالة واشبيلية وليون واتخذوا في حق اليهود الاسبان نفس الخطة وسموهم «مارانوس» «Maranos» محتفظين للمسلمين بلقب «موريسك» على أن طرد اليهود الاسبان قد صدر في حقهم مرسوم ملكي قبل ذلك بتاريخ (31 مارس 1492)، ثم عمم نفس الإجراء منذ عام 1499 ضد المدجَّنين، وقد وقع الإسبان في حيرة كبرى أمام تضخم ردود الفعل الموريسكية وتجددت الثورات عامي 1567-1570 في غرناطة مما حمل الاسبان على نقل الغرناطيين إلى قَشْتالة ثم ثارت أرغُون عام 1585 وأصدر الملك الإسباني فيليب الثالث عام 1609 مرسوما لنفي أندلسيي بلنسية مع منعهم من بيع أو اتلاف أملاكهم ثم نفي (الهورناشيروس)، أعقبهم سنة 1610م كل سكان الأندلس وإسْتِرمَادُور Estremadure (منطقة البلاط) واحتفظ

الإسبان بأبنائهم من ست سنوات من بينهم 300 طفل في اشبيلية وحدها. وكان المطرودون 500 27 نقل منهم إلى السواحل المغربية أربعون ألفا (40. 000) وبقي معظمهم قرب السواحل الاسبانية في سبتة وتطوان ومراكز أخرى بـ «المضيق» لاستنشاق هواء الأندلس من حيث تواردوا في ثياب قشتالية يتكلمون الاسبانية ويحملون أسماء مسيحية لطول مكثهم بين الاسبان محرومين من تراث أجدادهم الفكري وكتب دينهم ولغتهم ولذلك سماهم البعض مسيحيي قشتالة وَوَهم الناس في قسم منهم فعذبوهم لهذا السبب وقد علقت مصادر عربية على قرار النفي الصادر في (22 شتنبر1609م/ جمادى الثاني 1018هـ) فوضعت تاريخ القرار عام 1016هـ أو1017هـ غير أن كتاب تاريخ الدولة السعدية يؤرخ الحادث بعام 1018هـ (ص96)، وهذه الأحداث والاضطرابات وأصناف التنكيل قد تمت نتيجة استسلام أمير غرناطة للإسبان بعد أن جاهد أجداده للحفاظ على آخر معقل بالأندلس. وكان علي بن سعد بن نصر قد تربع عرش مملكة غرناطة بعد سلسلة ملوك وأمراء توارثوا أريكة بني الأحمر، وكان قبالته في قشتالة وآراغون الموحَّدتين منذ عام 1469 الملكُ فرناندو وزوجتُه إيزابيلا. وفي الوقت الذي اتحد أمراء الطوائف المسيحية دب الخلاف بين علي وأخيه محمد أبي عبد اللّه المعروف بالزغل وابنه المعروف بالصغير الذي نازع من جهته عمه الزغل فنتج عن ذلك تفتت القوى الإسلامية وتشعب الاتجاه وسقوط آخرمملكة إسلامية بالأندلس (يوم ثاني يناير1492/ ربيع الأول 897هـ) أضف إلى ذلك دسائس زوجة الأمير علي (ثريا) الاسبانية إيزابيل دو سوليس Isabel de Solis. وكان لأبي الحسن علي ابن أكبر هو أبوعبد الله محمد الذي حرف اسمه إلى بوعَبْدِيلْ (Boabdil) وتزعم بعض المصادر الأسبانية[11] أن ولدين

هما سَعِيد و نَصْر من إنجاب الزوجة القشتالية رافقا والدتهما بعد سقوط غرناطة واعتنَقا المسيحية.[12] وانهارت قوة أبي الحسن منذ عام 1478 حيث طلب من الملكين الكاثوليكيين مهادنة أبَيَاها أول الأمر ثم أذعنا بعد نصر خاطف لبني نصر ولكن الأمر المحتوم وقع بسبب اطّراد الصراع بين الأمراء المسلمين فاحتل الاسبان بلدة «الحمّة» عام 1482م/ 887هـ مما حدا الأمير أبا الحسن إلى إرسال سفارة إلى فاس مستنجدا بملك المغرب ولكن الأحداث توالت بسرعة فتراجع الأمير علي إلى مدينة غرناطة ووقع جنود مسلمون في الأسر وفي ضمنهم أبوعبدالله الصغير الذي نقل إلى قرطبة ومنها إلى قلعة «بُركونة» وبعد تحريره من القيد اتجه لاجئا إلى قرطبة فحماه القشتاليون ضد والده الذي مالبث أن تنازل عن الملك لأخيه «الزغل» إلى أن توفي عام 1485 فدفن بروضة الأمراء في غرناطة وهنا زحف أبو عبد اللّه الصغير صوب غرناطة فتزايد ضعف كليهما باقتسامهما مملكة غرناطة مناصفة فكان للزغل مالقة والمرية والمنكب والبشرّات (Alpujarra) ولابن أخيه مُرْسية وما تبقى من المملكة فاستقر «الزغل» في قصر الحمراء وسَطَا أبو عبد الله على حيّ البيّازين فنزل بها وحارب عمه تلبية للملك فِرْناندو بتحريض من أمه الإسبانية فازدادت شعبية الزغل الذي واصل انتصاراته ضد الاسبان مما أدى إلى مجازر استعاد أبو عبد اللّه غرناطة على أشلاء إخوانه المجاهدين المسلمين يوم 26 رمضان 892 هـ/15 شتنبر1487 فقررالزغل في غير حياء الانضواء تحت لواء الإسبان ضد ابن أخيه الخائن متنازلا لهم عما كان بيده من أقاليم بين وادي آش وغرناطة مقابل احتفاظه بـ «بَسْطَة» والمرية اضطر لتسليمها بعد ثلاث سنوات (895 هـ/1489) بعد خيانة ابن عمه يحيى النجارالذي تزعم المصادرالاسبانية أنه تمسحَ فَلُقّب الغرناطي بنيغيش

Vengasوهنا اضطر الزغل إلى استيذان الإسبان في الجواز إلى المغرب الذي لم يقتبله ملكها المريني بحفاوة نظرا لصداقته مع أبي عبد الله الصغير بل نكل به على ما زعمه «مارمول» في كتابه «تاريخ الثورة وعذاب مسلمي غرناطة المتنصرين» م .1 ص 75). فلم يلجأ إلى «بَادِسْ» كما يزعم «مارمول» بل توجه إلى وهران ثم تلمسان طبقا لما كتبه المقري في «نفح الطيب» (ج 6 ص 275 طبعة مصر 1909). ثم جاء دور أبي عبد الله الصغير فأرغم على تسليم غرناطة وطُرد من اسبانيا بعد خيانة وزيره يوسف ابن كماشة فغادر الأمير بلاد الأندلس في أواخر ذي الحجة 898 هـ/اكتوبر 1493) إلى فاس مع ذويه وكامل حاشيته، واستقبلهم السلطان محمد الشيخ الوطاسي فعاش في كنف البلاط الملكي إلى أن توفي بعد زهاء نصف قرن (940هـ/1534م) (النفح ج 6 ص281) .

أثار هذا النكال والعسف الذي أصاب الموريسكيين المنصرين وكذلك بقية الأندلسيين وءاخر ملوكهم الأمير عبد الله موجة من الاستنكار في العالم الإسلامي وحتى داخل الأندلس حيث تقدم ثلاثة ممن أجبروا علي التمسح بمذكرة بمظالم إخوانهم الموريسكيين حول مالحقهم من اضطهاد وتنكيل منذ سقوط غرناطة وحتى من طرف شَارْل الأول عام (924 هـ/1518) فكان ذلك ذريعة للتشديد علي الموريسكيين وصهرهم بالقوة في المجتمع النصراني فتفاوض الموريسكيون الثلاثة سِرياً مع الملك شارل الأول فألغيت القرارات الجديدة التي شددت المراقبة على استعمال اللغة الاسبانية وحدها وترك كل ما يذكر الموريسكيين بصلتهم بالشريعة الإسلامية (ترك الاحتفال بالأعياد وإقامة حفلات الزفاف في الكنيسة وبناء معاهد كاثوليكية لتربية أبناء المسلمين علي الدين المسيحي وغير ذلك). وتم

هذا الإلغاء عام 1526م مقابل دفع الموريسكيين للملك 80.000 دوكة [14]. ولكن القرارات مالبثت أن أعيد العمل بمقتضاها عام 1559م فتزايد التنكيل الذي عم مسلمي طُلَيْطلة وسِيقُوبية وسَمُورة وسالامَنْكا وبَلْنسية وأرَغُون وقَطَلونية . وفي هذه الظروف الحالكة اضطر ألوف المهاجرين الى الانتقال عام 1016هـ أو1017 وقيل 1019هـ إلى فاس وتلمسان ووهران وتونس حيث أوسع لهم صاحبها حسب ماجاء في «الخلاصة النقية في أمراء افريقية» (عثمان داي) كنفه فبنوا نحو عشرين قرية وعلموا الناس الحرف وتقاليد الترف وقد تعرض لهم المقري في «نفح الطيب» (ج 2 ص 617 طبعة مصر 1302) فذكر أن ذلك كان عام «1017هـ» وأنهم ذهبوا كذلك إلى تطوان وسلا والرباط ومصر والشام وقد سلم أكثر من نزحوا إلى تونس في حين تسلط الأعراب عليهم في فاس وأحواز تلمسان فنهبوا أموالهم وقد وصلوا سالمين إلى تطوان وعُدْوَتَي أبي رقراق وفسحة الجزائر(نشرالمثاني ج 1 ص 101). وكان عددهم نيفا وستمائة ألف «الأنوارالسنية» لمحمد بن عبدالرفيع الأندلسي الذي عاصرهذه الأحداث وقد أسس المهاجرون بتطوان «رباط الأندلس» بحَوْمة السانِية حوالي عام 1020م (تاريخ تطوان – داود ج 7 ص 182 نقلا عن أبي محمد سكيرج). وقد أوردت هذه الأحداثَ مراجعُ عربية: «تاريخ الدولة السعدية» ص 38/ «نشرالمثاني» ج 1 ص 105 «الاستقصا» ج 3 ص 100) /تاريخ تطوان ج1ص 429) إلا أن صاحب «الاستقصا» لاحظ أن أول فوج من المهاجرين كان عام 891هـ/1481 أي بعد استيلاء الاسبان علي غرناطة بست سنوات، ويظهر أن الهجرة تمت في فترات وأن ملك المغرب قد عمل على الاستفادة من هؤلاء المهاجرين لتعمير السواحل والحواضر الهامة.

والواقع أن عددا كبيرا من النازحين الأندلسيين قد وصلوا إلى المغرب في عهد الخليفة السعدي عبد الله الغالب بعد عام 977هـ/1596م فأدمجهم في جيش سماه جيش الأندلس تحت قيادة سعيد الدغالي، وكان هؤلاء الغرباء قد نزلوا بتطوان والرباط ومراكش، وأقطعهم السلطان أراضي بالجانب الغربي من فحص مراكش وهو رياض الزيتون «مناهل الصفا» مختصرالجزءالثاني ص 20 وقد أصبح قائد هذا الجيش في عهد أحمد المنصور هو محمد بن زرقون المعروف بالكاهية «وثائق دوكاستر» س .أ-السعديون م .1 ص 454- 532/م. 2 ص 45/ «الاستقصا» ج 3 ص101)[15] وأول من وصل من الأندلسيين[16] الهورناشيروس Hornacheros الذين احتفظوا بأموالهم لأن فرارهم من الأندلس كان طواعية من تلقاء أنفسهم وقد بلغ عددهم 800 رجل تحملهم السلطان مولاي زيدان واضطربت الحياة في العُدْوتين بمجيئهم وقد استقروا بالرباط حيث ساعدتهم أموالهم على تسليح سفن قرصنية انطلاقا من معقلهم في (القصبة) وكانت العدوتان آنذاك خاضعتين عام 1609م /1018هـ للمولى زيدان بن منصورالسعدي غير أنهم عمدوا في نفس الوقت حسب مذكرة مؤرخة سنة 1621م/ 1031هـ إلى تجديد بناء الرباط ولم يعارض المجاهد «العَيّاشي» في نزولهم بالقصبة التي قاموا بتحصينها بسور وأبراج وبنوا دورا وأفرانا وحمامين اثنين وجلبوا على حسابهم أندلسيين من باقي أنحاء المغرب وأسكنوهم خارج القصبة فما لبثوا أن تحرروا من ربقة المولى زيدان الذي كان يرغب في إدراجهم في جيشه فطردوا القائد الزعروري واضطر زيدان إلى التنازل لهم عن مداخيل ديوانة (الجمارك) المرسَى. وفي عام 1627م/1037هـ استقلوا تماما عن المملكة وطردوا القائد عجيب وشكّلوا ديوانا على نَسَق «آيْت الأربعين» بكل من الأندلس والأطلس (راجع آيت

الأربعين) وكان عدد أعضائه ستة عشر رجلا وقد سيطر الهورناشيروس على أندلسيي «رباط الفتح» طوال خمس عشرة سنة (1627-1641م-(1037-1051هـ) معززين بالدخل الجُمْركي الذي ساعدهم علي التسلح ضد سكان العدوتين، فلم يسع الْعَيَّاشِي إلا التحرك عام (1630م/1040هـ) لاحتلال القَصَبة فبدأ يناور بين سكان شِقَّي الرباط (المدينة والقصبة) الذين بادروا بالتصالح فيما بينهم لا سيما وأن القبائل المجاورة كانت تتربص بهم فاتفقوا على قائد يقطن القصبة ينتخبه سكان المدينة مع الحصول على ثمانية أعضاء في الديوان ونصف مداخيل الديوانة. وكان قائد الهورناشيروس هو عبد القادر سيرون وقائد أندلسيي الرباط هو عبد الله بن علي القصري وكان العياشي يجاهد آنذاك ضد إسبان «المعمورة»، فاتهم كل من لم يساعده علي محاربة العدو في المهدية (أي المعمورة) والعرائش لاسيما وأن الأندلسيين امتنعوا من إمداد العياشي بمدافع ولعلهم كانوا يخشون أن ينقلب ضدهم وأن يحاربهم بسلاحهم فغضب العياشي واستصدر فتوى من العلماء لمحاربتهم فحاصر كلا من القصبة والرباط وأشعل فتيلة النزاع والصراع بين العدوتين خلال عشر سنوات (1631-1641م) إلى أن توفي في هذه السنة فاستقر ولده مع 500 فارس في شالّة للحيلولة دون إمداد الضفة اليسرى للوادي وقد استنجدت الرباط بالمولى الوليد منذ عام 1632 فرفع العيّاشي الحصار ولجأ إلى منطقة الْغَرب. وفي عام 1636م/1046هـ استولى الأندلسيون بالحيلة علي القصبة وطردوا منها الهورناشيروس الذين لجأوا إلى سَلاَ بالقرب من العياشي وأصبح القَصْري الرئيس الوحيد فقرر الاستيلاء على سَلاَ وبنى قنطرة من المعديات (قوارب) لنقل عتاده وجنده وحاصرالمدينة خلال شهرين (يناير ويبرايرمن

عام 1637 فاستغاث السلَويّون بالعياشي الذي هب بسرعة معززا بالأميرال الأنجليزي رانسبوروغ Rainsborough الذي رابط بأسطوله بدعوى تحرير الأسارى الأنجليز فحطمت مدافعه القنطرة وقنبلت القصبة والسفن المرابطة بالمرسى فانجاز القائد القَصْري إلى الرباط فعمد العياشي إلى محاصرة القصبة للمرة الثانية مستنجدا بالأمير السعدي الأصغر الذي وجه «محلّة» لم تستطع الوصول إلى الرباط نظرا لاتفاق العياشي آنذاك مع الأمير الدلائي محمد الحاج وكان الإنجليز قد أظهروا الميل إلى المخزن فأخضعوا القصبة وسلموا «القصري» إلى السلطان الذي استمع إليه وأدرك بعض أسرارالدسيسة فأرجع القائد القصري إلى الرباط لاستيناف مهامه حيث بادر بإعدام الثوار وتزعم المصادر الأجنبية أن سكان القصبة فكرواخلال هذه الفترة المضطربة في تسليم القصبة للمسحيين[17] ففاوضوا عام 1639م/1049هـ مبعوثا اسبانيا هو الدون خُوَانْ دي طوليدو Don Juan de Toledo الذي ورد بحرا من المعمورة واتفقوا معه على تسليم القصبة لملك اسبانيا الذي كان يعتزم توجيه خمسمائة جندي لاحتلالها ولكن القائد القصري أفشل المناورة الأسبانية. وفي عام 1638 رفع العياشي الحصار علي الرباط بعد مقتل القصري فجدد الهورناشيروس محاولتهم احتلال القصبة بعد أقل من ثلاثة أشهر فحاصروا بها الأندلسيين دون أي تدخل من السَّلاَوِيّين. وهنا استغاث الأندلسيون بالدِّلاَئي محمد الحاج وكان للعياشي ضلع في حصار القصبة فاستماله الأمير دون خُوَانْ وأجبر الهورناشيروس سكان الرباط على رفع الحصار عن القصبة عام 1640. فانهزم العياشي الذي قتل في 30 أبريل 1641. وبعد موته انصاعت العدوتان مع القصبة للدلائيين، وكان العياشي قد كتب للأمير محمدالحاج ملاحظا أن اختلاف الفريقين يمس بالإسلام نظرا

لاتفاق جانب ضد آخر مع الأعداء وقد اتهم العياشي اندلسيي الرباط بخيانة قضية الإسلام عند حصار المعمورة مما برر وصمهم بنصارى قشتالة ورسخ ءانذاك تنابز وتصارع سكان العدوتين[18] وهنا اشتد الصراع بين الضفتين وإن كان الدلائيون قد امتلكوا المراكز الثلاثة في مصب أبي رقراق إلى عام (1071هـ/ 1660م) دون نزاع ولكن الأندلسيين والهورناشيروس لاحظوا شدة وطأة الدلائيين الذين هاجموا القصبة مع السلاويين فانبرى «الخَضِرْ غَيْلاَن» لمحاربة جيوش الدلائي وحاول قائد الرباط السطو على القصبة ففر قائدها حسب المصادرالأجنبية في سفينة أنجليزية وفي 16 أبريل 1661 استسلمت القصبة فاتفق الثلاثة (العدوتان والقصبة) على اقتسام مداخيل الجمرك. وفي ثالث مايو من نفس السنة خضعت القصبة للخَضِرْ غَيْلان وعيّن أحمد الجندي قائدا عليها فطرده أحد إخوة غيلان وخلفه القائد عبد القادر مرينو بانتخاب مشترك من الأندلسيين والهورناشيروس كما عين الحاج محمد فَنّيش على رأس مدينة سلا ولكن هذه الفوضى التي استمرت عقودا من السنين حاول الأعداء استغلالها لتركيز نفوذهم بالمغرب قد جعل لها حدا الأمير العلوي مولاي رشيد في يونيه 1666م /1077هـ عندما تمكن من الاستيلاء على المنطقة دون اصطدام فكان ذلك ءاخر مرحلة لاضطراب الحياة في العُدْوتين .

الأندلسيون في العهد العلوي

ظل سكان الرباط في أغلبهم أندلسيين وإن كان مهاجرون ءاخرون قد انضافوا إليهم من مختلف أنحاء المغرب[19] وقد واجه المولى إسماعيل مشاكل شتى عند اعتلائه عرش المملكة فبادر من أجل تحريرالجيوب التي

كان يحتلها الإسبان وتوحيد البلاد إلى تعزيز جيشه بمشرع الرملة بين سلا ومكناس حيث بلغت أعداده مائة وخمسين ألف رجل فحررالسلطان المجاهد المعمورة عام 1029هـ/ 1681م والعرائش عام 1101هـ/ 1689 وأصيلا عام 1104 هـ/1692م وطنجة عام 1096هـ/ 1684م وواصل الاتصال بفرنسا للحصول على السلاح فاصطدم بقضية الأسرى المغاربة الذين كان ملك فرنسا لويس الرابع عشر يستخدمهم في زوارقه، وقد جعل المولى إسماعيل حداً للاضطرابات التي كانت ناتجة عن وجود أمراء طوائف مستقلة وعن تنازع الإخوة الأندلسيين في عدوتي أبي رقراق وذلك بتأسيس 76 قلعة على طول البلاد وعرضها، على أن الصراع بين العدوتين قد انتهى عمليا في عهد الرشيد حيث خضعت الرباط وسلا للسلطة المخزنية وأصبحت القصبة معقلا حربيا للسلطان، وبذلك استطاع المولى الرشيد منذ عام 1082 /1671 تعيين قائد واحد للمدينتين. ومن الرباط أحد مراكزه الاستراتيجية توجه المولى الرشيد ضد الدِّلائيين فانتصر عليهم في 8 محرم 1079 وضد الشبانات بمراكش في نفس العام وضد ايليغ بسوس في 15 صفر1081 فأعلنت السُّوس طاعتها وتوحد المغرب بعد جهاد دام سبعة أعوام هي مدة حكم المولى رشيد الذي عزز تحصين الرباط ببناء قلعة قرب القصبة.

وفي عام 1697/1109 تحدث القنصل «إيسْتيلْ» Estelle عن وجود قائد لكل عدوة وخضوع القصبة لقائد خاص وبجانبه قائد للمرسى يهتم بالتجار الأجانب وبالملاحة. وكان القواد خاضعين للسلطان حيث سجن المولى الرشيد أحدهم عام 1669/1080م نظرا لسوء معاملته لاثنين من الرعايا الإنجليز ولم يكن ذلك خوفا من دول أجنبية وإنما رعاية لحقوق الأجانب ومصالحهم

المشروعة [20] وقد قام المولى إسماعيل بنفس العمل ضد قائد اخرعام ١١١١هـ/1699م.[21] ولهذا لم يقع أي اضطراب في المنطقة أيام الأميرين الرشيد وإسماعيل. وكان القواد آنذاك هم أحمد بن حدو والحاج عبد القادر مرينو والحسن بن محمد أُسْكيردو والعلج عبد الله الحاج قائد سلا[22]. وكان قائد القصبة عام 1682 زنجيا هو سعد علال بولعوان البخاري الذي ظل قائدا إلى عام 1686[23]. وفي عام 1199هـ/1687م لم يعد ميناء أبي رقراق يتوفر على أكثر من ثمانية إلى عشرة مراكب حربية مسلحة والواقع أن القراصنة كانوا يثيرون مشاكل. ففي عام 1670م هاجمت ثلاث بواخر إنجليزية مراكب القراصنة وكذلك الأسطول الهولندي. وفي نفس السنة أغارت القطع الحربية الفرنسية على الميناء مراراً (أعوام 1670-71-8081-) فأسرت قراصنة وكان المولى الرشيد قد أمر يوم 30 يوليوز1671 والى القصبة بمواجهة أسطول الأميرال الفرنسي «ديسْتْري» d'Estrées بأفواه المدافع (راجع تاريخ فتوح الرشيد ص 154) فأطلق الفرنسيون في ساعة ونصف مائة قذيفة دون أن تتضرر من ذلك المدينة ولا القصبة وفي عام 1681 أسر الفرنسيون خمس بواخر قرصانية وحطموا بعضها ونظرا لصعوبة الدخول إلى الوادي بسبب الحاجز الرملي (La Barre) اكتفى الفرنسيون طوال ربع قرن (1700- 1726) بمراقبة الساحل دون الوصول إلى الميناء وكانت للمولى الرشيد بواخرعام (1671) وأصبح للمولى إسماعيل ستة أو ثمانية مراكب عام (1698) وقداستطاعت منذ عام 1694 إطلاق نيران مدافعهاعلى بواخر أنجليزية كانت تحمل العلم الأبيض، وكان مقصودها تحرير الأسرى الذين بقي عددهم 250 رجل.[24] وكان المغرب يستورد العتاد ومواد صناعة السفن من هولندا وظل مع ذلك بعض الخواص مثل عبد الله بن عائشة أميرال

سلا وسفير المولى إسماعيل بفرنساعام 1698 يملكون مراكب قرصنية، وبذلك تقلص عدد المراكب الجهادية التي تراوحت فترة ازدهارها بين سنتي 1630 و 1640 ولم يعد للقراصنة عام 1669 سوى سبع فركاطات ومركبتين وأصبح ميناء الرباط وسلا مع ذلك أبرز مركز مع تطوان للمتاجرة مع الدول المسيحية وانقضى بذلك عهد السطو الإسباني على الميناء من المهدية التي حررها .المولى إسماعيل كما حرر العرائش وأصيلا وطنجة وكان الاسبان قد اتخذوا من المعمورة (المهدية) قاعدة لهم طوال سبعين سنة من عام 1022 هـ إلى 1092هـ (1613 -1681م) وقد بلغ عدد البواخر الفرنسية والهولندية والإنجليزية التي ترددت على المرسى طوال سبع سنوات (1720-1727) مائة سفينة معظمها انجليزي الجنسية نقلت إلى المغرب عن طريق ميناء الرباط القطنيات والورق والأفيون والزجاج والجوخ والقماش وأنسجة الكتان والتوابل والبارود والسلاح ومواد صنع السفن. وقد مارس كل من الأنجليز والهولنديين تجارة التهريب مقابل مواد مغربية هي الجلود والأصواف والصمغ والنحاس لتذويب المدافع والنافع (الأنيسون) وحتى الذهب رغم تحظير إصداره بالمغرب.

وعندما حاصر الإنجليز مصبّ أبي رقراق عام 1684 أمر السلطان التجار الإنجليز بمغادرة جميع مراسي المغرب وكان الفرنسيون ءانذاك يَحْظون بمعاملة حسنة من طرف المولى إسماعيل مما أدهش الرباطيين، ولعل ذلك راجع لعدم الخوض في غمارالتهريب قبل سنة 1697، غير أن التبادل التجاري مع فرنسا أوقف عام 1687 لأكثر من سنة وكانت رسوم الإصدار والإيراد قد بلغت عُشُر قيمة البضاعة فوصل دخل الديوانة خلال عام ونصف (من يناير 1697 إلى يونية 1698) حسب القنصل إيستيل (Estelle) في ميناء الرباط

وحده 20.000 ليرة دفع الفرنسيون منها خلال عام 1698 نحو عشرين ألف ريال فرنسي. وكان حيّ القناصل بالمدينة غاصا بقناصل إنجلترا وهولندا وفرنسا وممثلي بعض الدول الأوربية من اليهود علاوةعلى تجارمسيحيين كانوا يشترون من القراصنة غنائمهم لبيعها بأوربا مع إفراد أمريكا الجنوبية بمواد خاصة هي الخمور والزبد والزيتون والبرتقال واللحوم والأسماك المملحة. وظل التبادل مع فرنسا موصولا خلال عقدين من السنين إلى عام 1718 حيث أقفلت القنصلية الفرنسية وكان عدد التجارالفرنسيين بالرباط خمسة معظمهم من البروتستانت يمزجون التجارة بالتبشير وكان من بينهم Pillet الذي اعتنق الإسلام وتولى مناصب مخزنية وظل يواصل تجارته ضمن التجار الرِّباطيين مسلمين ويهود. وقد تولى عمالة الرباط أبناء المولى إسماعيل وهم عبد الكريم (عام 1150هـ/1737) وأعقبه في نفس السنة الأمير المهتدي. وعندما ضعف أمر السلطان المولى عبد اللّه بن المولى اسماعيل وتشعب حكمه عام (1166هـ /1752) عاد الأندلسيون إلى تمردهم فشكلوا مجلس الأربعين مع الحفاظ على النظام القيادي الذي أقامه العلويون.

الهوامش

1) كذلك ابن خلدون ج 4 ص 275/ ، الحلة السيراء لابن الأبار ج1 ص 44 طبعة 1963.

2) كان في قرطبة وحدها نحو المليونين ولما اجلى الإسبان المسلمين واليهود وهاجروا إلى أمريكا هبط عدد سكان اسبانيا . ففي سنة 1594 كان نيفا وثمانية ملايين (ص41) وفي عام 1768 160 0009 وفي زمن آل بُربون 10 ملايين وفي عام 1832 صار11 مليونا وسنة 1849 كانوا 14مليونا وفي أوائل القرن العشرين صاروا 21

مليـونا وبذلك أصبـحت الأندلس بعد خروج المسلمين منهـا «يتـيـمـة» وقد أوصى المنصور الموحدي والد الناصر لدى احتضاره بالأيتام واليتمية فسأله عنهما الشيخ أبو محمد عبد الواحد فأجابه المنصور : «اليتيمة هي جزيرة الأندلس والأيتمام سكانها» (البيان لابن عذارى ج 3 ص 24 طبعة الرباط 1960) .

3) كانت وقعة طريف Tarifa أو معركة البوغاز Bataille de Salado عام 741هـ جمادى الأولى /1340م حسب النفح فكانت نهاية الجهاد المريني بالأندلس والتخلي عن الدولة التي ما لبثت أن لقيت مصرعها المحتوم بعد أن استسلمت (عام 743هـ / 1342 م) بالجزيرة الخضراء وظل جبل طارق وحده في يد المسلمين إلى عام 1462 م/ 867 هـ ثم غرناطة إلى عام 1492 م/ 898 هـ (النفح ج 6 ص 317 / الاستيقصا ج 2 ص 165) .

4) كانت مملكة غرناطة عند الاحتلال تشمل مالقة وغرناطة والمرية (راجع سلسلة ابحاث الدكتور محمد عبده حتاملة التي نشرتها الجامعة الأردنية ابتداء من عام 1400هـ /1980م) .

5) قارن هذه الكلمة بكلمة (علج) وهو الذي يقصد به معتنق الإسلام من النصارى.

6) مجلس الأربعين هذا شبيه بآيت الأربعين عند الأمازغيين الذين رابطت منهم الآلاف ضمن حاميات الحواضر الأندلسية منذ عهد المرابطين وقدلاحظ شكيب أرسلان (الحلل السندسية ج1 ص25) أن كثيرا من المؤرخين يذهبون إلى أن الايبيريين الذين هم سكان اسبانيا الأولون هم البربرمن أصل واحد ويستدل على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين من ذلك ما رواه سترابون من أن المرأة كان لها المقام الأول عندهم إلى زمن الرومانيين وهذه العادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء افريقية وهذه نظرية لا ترتكز على أساس علمي .

7) كتاب مارمول حول ثورة الموريسكيين في مملكة غرناطة – الطبعة الثانية مدريد 1797 م 116 .

8) من مظاهره ما حكاه المؤرخ الأنجليزي برسكوت من نسف الاسبان لمسجد بالشّرات مليئ بالنساء والأطفال في كتابه (تاريخ ملوك الكاثوليك) . م .3 مدريد 1846 ص 189 .Wilian Prescott

9) وقد شمل الاضطهاد حتى المدجنين وهم المسلمون الذين عاشوا على دينهم بين الاسبان قبل سقوط غرناطة .

10) وقد كتب أبو المطرف بن عميرة قاضي الرباط في العهد الرشيدي أزيد من أربعين رسالة إلى رؤساء ووجهاء لمعونتهم والأخذ بيدهم .

11) Lucio Marineo Siculo, Vida y hechos de los Reyes Catolicos. Madrid 1943.

12) راجع " آل أبي الحسن علي بعد سقوط غرناطة " للدكتور محمد عبده حتامله م 2.

13) خلافا لما زعمه مانويل كاستيانوس في كتابه (تاريخ المغرب وأسره المالكة) وكذلك غيره من مؤرخي الاسبان من أنه قتل في معركة أبي عقبة بوادي العبيد عام (943هـ/ 1536) .

14) ورد في وثائق دوكاستر (س أ - السعديون ج1 ص 88 /1918) أن فيليب الثاني ملك اسبانيا شكل ميليشية جديدة لمواجهة تمرد الموريسك واليهود باسبانيا حيث عثر في قشتالة على مبعوث من سلطان فاس جاء كالعادة في كل سنة يجمع الجبايات من الموريسكيين باسم السلطان وقد اعتقل كما اعتقل خمسة من أصحابه وذلك حسب رسالة مؤرخة من مدريد17نونبر (1565/ 973 هـ) موقعة من W.Phayre وقد أشار نفس المصدر إلى ثورة الموريسكيين التي امتدت من عام 976هـ/ 1568م إلى عام (1570/ 978 هـ - كما ورد من قادس عام 1569 أن الثوار يتلقون النجدة من المغرب (ص 104) (راجع دوكاستر - فرنسا ج1 ص 286) .

15) راجع ديوان أهل الأندلس في كتاب JAHN (Janheinz) -Diwan aus Al- andalus - Nach- dichtungen Hispano- Arabischer Lyrik Kas 1949 (150p.)

16) وكان من بينهم أيضا حسب دوكاستر مهاجرون من Sanlucar و Llerena وقادس.

17) في عام 1638 أكد القنصل راستان Rastin أن الأندلسيين كانوا يفضلون الاستسلام إلى ملك اسبانيا بدل العياشي ويزعمون أن القصري فاوض في ذلك الدوق دو مدينة (مدينة) Le duc de Medina Sidonia نظرا لتأزم الحالة وأن الأميرال الإسباني اقترح إمداد السكان بالأغذية والعتاد وإنزال ستمائة فأبدى نجل القصري استعداده للقبول بينما عارض القائد مراد بل أضاف المصدر الإسباني أن القصري اقترح على الدوق في رسالة خاصة سماح فيليب الرابع للأندلسيين بالعودة إلى اسبانيا مقابل تسليم القصبة والعيش في هدوء بالأندلس مع استرجاع أملاكهم

Gosalbes Busto , la Republica Andaluza de Rabat en el siglo XVII (p 133 -161)

18) حكى جان ارمان Jean Armand Mustapha في رحلته عام 1630 أن «عرب الرباط» لم يكن يسمح لهم بالدخول إلى سلا (وثائق دوكاستر ج III ص 336 – الدلائيون).

19) أمثال مهاجري وادي أم الربيع وهم آل فرج والزعيمي والدكاليين وعال الغربي (من مدينة الغربية) والعبدى (من ناحية أسفي وعال المذكوري (من المذاكرة) .

20) Mémoires de Jean d'Estrées, Decastries, 2e série, France, T.I p. 404 Mémoire de Y.B. Estelle de 1696. T. 4, p 436 Paris 1931.

مويت : (تاريخ فتوح الرشيد ص 49) .

21) Lettre de Tanger (21-31 déc. 1669. Decastries. 2e série, France. TI. p 288 Estelle. 1996. Decastries. 2e série France, T. 417.

22) كان قائدا عام 1726 واسمه الأول Pillet ثم عين قائد المبناء عام 1729 .

Journal du voyage de St . Amans , p 324

23) كما في وثائق دوكاسترس. 2 فرنسا م.p 2 653 م.3 ص 189 باريس 1927.